النقد البنيوي

ارهاصات النقد البنيوي:

جاء المنهج البنيوي بعد إخفاق المناهج السياقية (المنهج التاريخي والمنهج النفسي والمنهج الاجتماعي) في قراءة النص الأدبي، لما اعتراها من ضعف منهجي ومعرفي.

وقد انفتحت البنيوية على اللسانيات التي أمدتها بمختلف الاجراءات والأدوات للدخول إلى عالم النص، فسدت الفجوات التي وقعت فيها المناهج السياقية.

يمكن القول أن تطبيق المنهج البنيوي في النقد تأخر إلى أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، حيث يتفق النقاد و مؤرخي النقد أن أول محاولة جادة لنقل النموذج البنيوي من النسق اللغوي إلى أنساق معرفية أخرى كانت مع كلود ليفي شتراوس، عندما طبق المنهج البنيوي الذي طوره سوسير لدارسة أصوات اللغة على الحقل المعرفي الذي كان يشتغل عليه وهو دراسة الأساطير، وقد أصدر هذه الدراسة في كتابه **الأنتروبولوجيا البنيوية** سنة 1958م. وقد أصبح تاريخا يؤرخ به النقاد لتطبيق البنيوية خارج اللغة.

في حين أن هناك رأيا نقديا يرى بأن البنيوية الأدبية بدأت تتبلور و تختمر تحت تأثير الدراسات اللغوية الحديثة قبل هذا التاريخ. و يستدلون على ذلك بظهور مجموعة من الحالات النقدية التي تبنت المنهجية للبنيوية اللغوية، كأعمال الشكلانيين الروس التي أصدروها في عشرينيات القرن الماضي و التي تبنت بعض مقولات النقد البنيوي كمبدأ المحايثة و العلمية والموضوعية...الخ.

يمكن التأريخ لظهور هذا التوجه النقدي الجديد، بعد صدور كتاب **دروس في اللسانيات العامة** لفردينند دي سوسير (1916م)، حيث قام مجموعة من النقاد بنقل نموذج المنهج البنيوي

المستخدم في اللغة وطبقوه على الأدب على غرار الأعمال النقدية لفلاديمير بروب، جيرار جينيت، تدوروف، جاكبسون، ورولان بارث.

مفهوم البنية:

وقبل أن نقدم البنيوية كمنهج ينبغي أن نقف عند مفهوم "البنية" لأنه هو المفهوم الذي قامت عليه البنيوية فكرا ومنهجا، فنشير إلى أنّ لفظ "البنية Structure" مشتق من الفعل اللاتيني "Stuere" وهو بمعنى "يبني" أو "يشيد"، وكل شيء تكون له بنية.

البنية عند "جان بياجي"

والبنية كما حددها جان بياجي هي نظام تحويلات له قوانينه التي تؤمن ضبطه الذاتي.

البنيوية عند "رولان بارث":

حيث يرى "رولان بارث" أن البنيوية نشاط تتابع منظم لعديد من العمليات الذهنية، وهدفها يكمن في إعادة تكوين شيء ما بحيث تظهر في عملية إعادة التكوين هذه القواعد التي تحكم وظائف ذلك الشيء، فالبنية إذن صورة أو ظل لهذا الشيء لكنها صورة موجهة.

مبادئ النقد البنيوي:

هي مبادئ مستجلبة من البنيوية اللغوية، مع إعادة تطويعها لتتناسب مع خصوصية النصوص الأدبية، وهي:

1- العلمية:

رفعت البنيوية شعارا أساسيا هو تحقيق علمية اللغة، وقد سعت إلى تحقيق هذه العلمية من خلال تبنيها لمقولات علمية خالصة كتبنيها لمنهج علمي يتمثل في المنهج البنيوي المستعار من

المنهج التجريبي وتطويعه ليتناسب وطبيعة اللغة، باعتبار أن البنيوية هي نسخة عن المنهج التجريبي تم تطبيقها في حقل العلوم الإنسانية بغية تحقيق العلمية التي بلغتها العلوم التجريبية ومن خلال أيضا رفض المناهج القديمة الكلاسيكية، ومن خلال تبنيها لمقولات علمية كالموضوعية ومبدأ المحايثة والتجريب؛ فالمناهج التي قبلها لم تدرس اللغة من أجل ذاتها أو الأدب من أجل ذاته، أما البنيوية فرفضت هذه الطريقة من خلال تبني المنهج التجريبي.

2- التجريب:

نقل دوسوسير المنهج التجريبي إلى اللغة، وذلك بتطويع بعض مقولات المنهج التجريبي (الملاحظة، الاستقراء، التعميم،..)، وخاصة فكرة التجريب بحيث اعتمد على مبدأ التجريب الخالص من خلال دراسة الأصوات (الجانب الحسي في اللغة) وتطوير مفهوم **التجريب العقلي** الذي يسمح بإجراء عمليات الوصف والتحليل داخل النسق.

فأساس البنيوية هو التجريب العقلي، لأن بعض المواضيع لا يمكن أن نجرب عليها مثل الجانب الدلالي، فنخضعها للتجريب العقلي.

رفضت البنيوية الأدبية التجريب الحسي، واحتفظت فقط بالتجريب العقلي، لأن التحليل الأدبي للنصوص لا ينطلق من الأصوات وإنما يبدأ من الوحدات الدالة.

3- الإيمان بمبدأ النسق:

يرى البنيويون أن العالم ينتظم وفق مجموعة من الأنساق المختلفة، بحيث أنه لا يمكن أن يوجد عنصر شارد (خارج نسق معين)، وقد حدد طموحهم في اكتشاف قوانين الأنساق، بداية من النسق الأصغر (بكونه تلك العلاقة بين المكونات الصغرى للغة أو للنص)، مرورا بالنسق

الأكبر(المتحكم في العلاقات بين النسق الفردي للغة والنسق العام لهذه اللغة)، وصولا إلى النسق الكلي (وهو نسق مفترض، تعتقد البنيوية بوجوده وتطمح إلى تحقيقه).

البنيوية الأدبية تؤمن بوجود مجموعة من الأنساق، لكنها تقصي النسق الأصغر، وتنطلق من النسق الأكبر وصولا إلى النسق الكلي.

فالنسق الكلي هو أكبر طموحات البنيوية، وهو مجموعة من القوانين المجردة المحتملة في مجالات معرفية أخرى مثل وظائف بروب (31 وظيفة) والتي تنطبق على كل حكاية شعبية (خرافية).

4-المحايثة:

هو مبدأ أساسي استجلبه البنيوية من المنهج التجريبي، ويقوم على أساس الموضوعية في معالجة الموضوع اللغوي/ الأدبي، ويقوم على فكرة عزل اللغة عن سياقاتها الخارجية، ودراسة النص دراسة داخلية من أجل غايات علمية صرفة، هي اكتشاف قوانين النسق.

اجراءات النقد البنيوي:

1-العلامة:

وهو مفهوم تجريدي طوره سوسير، وقعده وأدخله في منظومة تحليل اللغة، وهي كل مكون لغوي داخل النسق، وهي دال (صورة صوتية/حسية) ومدلول (صورة ذهنية)، تكون العلاقة بينهما علاقة اعتباطية تعسفية.

2-اللغة والكلام:

وهو مفهوم سوسيري يندرج ضمن الثنائيات السوسيرية، وقد أطلق هذا التمييز بين اللغة والكلام من أجل التأكيد على وجود طابع كلي مجرد في اللغة وهي المكونات النحوية والصرفية والصوتية في أذهان الجماعة اللغوية، حاضرة للاستعمال.

وقد رأى سوسير بأن اللغة تمتلك جانب اجتماعي (كالقوانين اللغوية المشتركة بين جميع المتكلمين بهذه اللغة)، وجانب فردي هو طريقة الاستعمال الفردي من طرف متكلم بعينه.

فاللغة هي خزان من المعطيات والقواعد الخاصة بكل فئة من الناس، بينما الكلام هو الجانب الفردي، وهو تحيين اللغة أثناء ظرف معين عند الحاجة إليها؛ أي أن الكلام هو التجسيد الفعلي للغة الكامنة في الذهن.

3-محور التركيب ومحور الاستبدال:

ثنائية أساسية جاء بها سوسير وتقمصتها الدراسات اللغوية معه وبعده من أجل فهم كيفية اشتغال اللغة ضمن النسق.

محور التركيب يشكل مجموع العلاقات الأفقية المنجزة داخل وحدات تركيب لغوي معين، وهو المسؤول عن إنتاج الجمل والتراكيب، وبدونه لا يمكن انجاز الكلام.

محور الاستبدال محور وهمي موجود في اللغة، وهو مسؤول عن التغييرات المحتملة، وهو الذي يخلق الاختلافات بين المتكلمين، وهو الذي يخلق الفرق بين اللغة المعيارية (العادية)، واللغة الأدبية.

لم تكتف البنيوية الأدبية بهذه الاجراءات المستجلبة من اللسانيات، وإنما قامت بتطوير اجراءات خاصة بها اكتشفتها من خلال اجراء عمليات البحث على الأنساق الأدبية المختلفة، من مثل مفهوم التناص، ومفهوم الانزياح، والعنصر المهيمن، والبنية النظيرة...

مراجع المحاضرة:

- إديث كروزيل، عصر البنيوية.
- جان بياجي، البنيوية.
- كلود ليفي شتراوس، الأنثربولوجيا البنيوية.
- سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر.
- عبد السلام صحراوي، عتبات النظرية الأدبية الحديثة.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة.
- عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه.